العرفان وحياتنا المعاصرة

القسم الثالث

لطفية الدليمي

العرفان والأزمات الإقتصادية العالمية

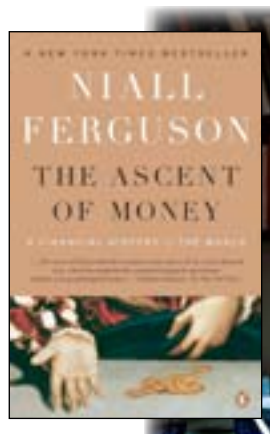

لسنوات عدة خلت لم أعتقد يوماً بتماسك قواعد علم الإقتصاد وأساسياته (هذا إذا جاز لنا توصيفه بالعلم ؛ فثمة الكثيرون يرون فيه مبحثاً معرفياً وحسب)، وحصل يوماً أن تابعتُ مسلسلاً وثائقياً مهما في قناة ال BBC بعنوان (سيرة المال) قدّمها البروفسور الشاب (نيل فيرغسون Neil Ferguson) أستاذ الإقتصاد في كلّ من جامعتي هارفرد وأكسفورد، والأصل في هذه الوثائقيات هو كتاب وضعه البروفسور فيرغسون ذاته وصدر عن جامعة هارفرد بعنوان (سيرة المال : التأريخ المالي للعالم The Ascent of Money : A Financial History of the World)، ويُلاحظ في كلّ مؤلفات المؤلف أنه يتحدث عن الموضوعة المحددة في كل كتاب في سياق تأريخ الأفكار العام ؛ الأمر الذي جعل تلك الوثائقيات غاية في الامتاع العقلي والبصري. يحكي المؤلف في تلك الوثائقيات (مثلما في الكتاب) عن خطل وتهافت الأساسيات التي نشأ عليها الإقتصاد، والغريب أن الكثيرين ممن وضعوا قواعد هذا النشاط البشري كانوا محتالين جشعين ؛ بل وحتى ذوي نشاطات إجرامية في بعض الأحيان!!.

إن واحداً من أكثر مايسم حياتنا الحاضرة سوءاً وفساداً على مستوى العالم بأكمله هو : النظر الى الحياة البشرية من منظار تنافسي بحت وعلى أساس أنها لعبة صفرية النتائج وأقرب إلى بركة آسنة تتصارع فيها جوارح كاسرة، وتلك صورة دراماتيكية واقعية لا مبالغة فيها : لننظر إلى السوق العالمية وأسس الإقتصاد العالمي التي كانت تُعَدُّ إلى عقود قريبة راسخة في مفاهيمها التأسيسية على أقلّ تقدير (كان نظام بريتون وودز Breton Woods يعدُّ دوماً مثالاً لإستقرارية النظام الإقتصادي العالمي في أعقاب الحرب العالمية الثانية) فإذا به يتهاوى ونكتشف مشدوهين أن فكرتنا الراسخة عن السوق الحرة والمنافسة الكاملة والمشتقات المالية و"اليد الخفية Hidden Hand" التي تتكفل تلقائياً بتعديل الإختلالات الهيكلية الحاصلة في أداء الاسواق إنْ هي إلا باطل وقبض ريح مثلما اكتشفنا أن مفاهيم أخرى تقبلها الناس طويلا مثل : التأمين والبنوك والأسواق العقارية والبورصات والقروض بشتى أنواعها هي ألعاب مصممة ببراعة ودهاء كبيرين لخدمة أناس محددين وجهات بعينها. لست أتحدث هنا بخطاب أيديولوجي مكرس يردد مقولات متداولة ؛ لكنّ أناساً يزعمون أنهم بضمائر حية ونزاهة غير ملوثة لا يسعهم إلا أن يتحسسوا مواطن الظلم والجور في (النظام الإقتصادي العالمي الجديد والذي يسعى إلى مركزة المال والسلطة وتركيز الهيمنة حتى لو تم الإضطرار إلى استخدام ذراع عسكرية ساحقة تحت مسميات شتى اصبحت تشكل نوعا من الآيديولوجيا المقوتة التي يجوز لنا أن ندعوها (الكهنوت الإقتصادي الجديد).

لكن هل تطيب الحياة وتعلو وترقى في تمظهراتها الثقافية و الأخلاقياتية في وسط محكوم بلعبة الربح والخسارة هذه وبوجود كائنات طفيلية تعيش بجهاز هضمي و جهاز حسي حسب وبلا جهاز قيمي يرى مكامن الجمال و الوهج في العطاء و ليس في التكالب و المغانمة؟ أقول بثقة المنظور العرفاني : لا تطيب الحياة وسط أجواء مسمومة مثل هذه بل تنحدر إلى قعر مستنقع عفن هو أشبه بثقب أسود هائل لا فرار من أسره القاتل وحيث يتمركز الفرد على أنوية غبية قاتلة للروح ومطفئة لوهج النوازع المحلقة في مديات الفضاءات القصية ؛ فيخسر الفرد نفسه بعد أن تنوء الأرض بخساراتها الهائلة هي الأخرى حيث يولد الجشع جشعاً أكبر من سابقه ولا منجاة حينها من هذه البركة المميتة.

لكن، لماذا يرتبط السعي إلى مزيد وفرة مادية بشكل من أشكال الجنون الجمعي القاتل الذي طغى على عصرنا؟

يبدو لي أن صناعة الجنون هذه تتخلق من تداعيات لعبة فاتكة مفتوحة النهايات تنشأ من نمط الحياة البشرية المعاصرة المصممة على أساس إعتبار أن الحياة البشرية لعبة صفرية النتائج تقوم حسب على الربح والخسارة مما يفضي الى نشأة تنافس صراعيّ يميل إلى تعظيم الأرباح المتحصلة من هذه اللعبة القاتلة مع لامبالاة متعمدة عن التداعيات الخطيرة الناجمة عنها، وعادة يقود النموذج التنافسي (لا التشاركي) إلى تمركز أنوي طاغ يؤدي إلى إنتفاخ ذاتي وغرور يقضّي على مصادر البهجة والإستمتاع بالقليل الذي بين أيدينا ؛ فالجسد والروح مستنفران دوماً وفي حالة طوارئ متواصلة إستجابة لظروف المعركة الحاسمة التي ترمي إلى اقتطاع حصة أعظم من الكعكة الأرضية (النموذج التنافسي يرى الأرض محض كعكة، لا مستودعاً يعج بالأسرار والحكايات والخبرات المعتقة). يقود النموذج التنافسي هذا إلى الدخول في نفق مرعب لا نهاية له، و يفضي إلى تدمير الذات على نحو ممنهج و بطيء وثابت ؛ فالكائن البشري (و الكائنات الأخرى أيضا) قد صممت جينياً وفق تصميم كوني هائل الذكاء قائم على أساس المشاركة والتواصل (بل وثمة جينات إيثارية يحتمها الإرتقاء البيولوجي التطوري بحسب ريتشارد دوكنز)، وإن هذا التأهيل الجينيّ هو نتاج عملية تطورية ممتدة لملايين السنوات وقد تم سحقه والإعتداء الصارخ عليه بفعل خبيث من أخطبوط ثلاثي الأذرع : سياسي – إقتصادي – إجتماعي يتحرك بمشيئة واضعي نظريات لا تتعدى ربما القرنين من الزمان!!!. يبدو النموذج التنافسي شديد الغباوة بالمقارنة مع الخبرة المعتقة لأمنا الرؤوم : الطبيعة مع خبرة الكائنات البرية التي اعتادت التعايش المسالم معها على طريق المشاركة والتواصل الحميمين، ولا أحسب أن النموذج التنافسي سيصمد طويلاً أمام الخبرة الجينية المتراكمة ؛ فالإشتغال بما يعاكس توقنا الطبيعي وتصميمنا الأساسي سيفضي حتماً إلى تشوهات عملية خطيرة ستنعكس في هيئة إضطرابات ذهانية Psychotic ونفس – جسدية Psychosomatic خطيرة على المجتمعات الغارقة في الصراع التنافسي.

يمكن للتدريب العرفاني المستديم والكشوفات العرفانية الذاتية أن تعمل بمثابة ترياق مضاد لكل هذه التوجهات التنافسية السامة عبر توظيف العرفان وطبيعته الإيثارية المعاكسة لتوجهات التمركز الذاتي المفرطة والأنوية الجامحة، وقد يبدو هذا الفعل بسيطاً على نحو غير متوقع ؛ لكنه قادر على الإتيان بأعاجيب حقيقية في ميدان التعامل مع المعضلات الإقتصادية العالمية التي ينوء عالمنا المعاصر تحت ثقلها.

العرفان وطغيان التقنيات الرقمية

نعيش اليوم وسط ثقافة رقمية متغولة باتت تفرض سطوتها في جميع مجالات الحياة وغدت واقع حال معلن لايمكن ردّه، وهذه الثقافة هي في حقيقتها ثورة تُضاف للثورات التي شهدتها البشرية من قبل وكانت لها مفاعيلها المؤثرة في حياة الإنسان ؛ غير أن الثورة الرقمية تتمايز عن الثورات السابقة لها بخصيصتين إثنتين عظيمتي الأثر والنتائج : الخصيصة الأولى تغلغل مفردات الثورة الرقمية في كل جوانب الحياة العقلية والسايكولوجية للإنسان وعلى نحو أصبحت فيه تلك التقنيات تمارس نوعاً من الدكتاتورية الرقمية المتغولة التي تشيع نوعاً من التنميط العقلي الجمعي الذي ستكون له تبعاته المدمرة في العقود القادمة برغم الآفاق المبشرة التي يَعِدُ بها على المديات القصيرة، أما الخصيصة الثانية فهي كون التقنيات الرقمية أمست ملازمة للفرد المعاصر طوال ساعات اليوم وماعادت مقتصرة على أوقات محددة مثلما فعلت مفردات الثورات السابقة، وهذا الأمر هو مايساهم في مضاعفة تأثيرات الثورة الرقمية.

ومن الطبيعي أن بوسع الثورة التقنية أن تكون عظيمة الفائدة لمن يستخدمها في ميدان تعزيز الكفاءة المهنية وتوسيع الجوانب المعرفية والإنفتاح على ثقافات العالم التي كانت عصية على التناول في الحقب السابقة ؛ غير أن التعامل المعقلن مع هذه التقنيات يتطلب تدريباً منضبطاً وقدرة على الإمساك بلجام الرغبات المنفلتة – وذلك أمر يتعذر بلوغه غالباً مع جيل الصغار الذين تستهويهم حبائل الإغواءات الصورية والمتع العابرة ؛ لكنما التأثير الأعظم تدميراً لتلك التقنيات يكمن في أن الإعتياد على التعامل التلقائي غير الهادف مع تلك التقنيات ينقلب عادة إدمانية ينشأ معها ترتيبات محددة من الإشتباكات العصبية الدماغية المميزة لكل حالة إدمانية ؛ الأمر الذي ينتج عنه بالضرورة فقدان جوانب مهمة من الإمكانيات الدماغية التي يمكن توظيفها في عملية التعلم وخلق آفاق جديدة أمام الفرد ماكانت متاحة له من قبل، ولعلّ من اللافت للنظر أن الآباء المطوّرين للبرامجيات التقنية الشائعة (مثل بيل غيتس، الراحل ستيف جوبز، مارك زوكربيرغ) يعمدون في العادة لفرض نوع من التعتيم الرقمي في منازلهم – على أقل تقدير – بغية منح أنفسهم فسحة من فك الإرتباط مع العالم الرقمي وتوفير فرصة لتعلّم قدرات عقلية جديدة بعيداً عن النمطيات الرقمية السائدة.

يمكن للعرفان – ونظائره من الممارسات التي تنطوي على التفكّر والتأمل في نطاق كوني – أن يخدم في تخفيف السطوة التدميرية للتقنيات الرقمية، ولايقتصر الأمر على مجرد آلية محايدة من خلال إبعاد الفرد عن البيئة الرقمية ؛ بل إن الأمر أبعد من ذلك ويتأسس على قدرة العرفان في توفير مايمكن وصفه بـ (الترياق المضاد) للتقنيات الرقمية عبر إعادة تشكيل التشبيكات الدماغية وعدم إقتصارها على شكل واحد تفرضه التنميطات الرقمية المتلاحقة، والحقّ أن هذه القدرة العرفانية في إجتراح ترياقات مضادة لبعض مثالب حياتنا المعاصرة يمكن لها أن تكون موضوع أبحاث مكثفة (وبخاصة في ميدان علم النفس السريري) حيث يرى الكثير من البحاثة أن إمتلاك القدرة الذاتية على إعادة تكييف التشبيكات العصبية الدماغية يمكن أن تكون وسيلة علاجية عظيمة الأثر في علاج الكثير من الإضطرابات السايكولوجية وفي مقدمتها الإضطرابات الذهانية (الشيزوفرينيا مثلاً)، وأراني أميل إلى قناعة أن العرفان الجميل يمكن أن يغيّر نظرتنا للحياة ويملؤها بنوع من الطاقة الكونية الخلاقة المتعالية على المستنقع البشري وقوانينه المدمّرة.

منطقة محررة

▪ نجم والي

زيارة لمكتبة نيويورك

حتى نهاية القرن التاسع عشر امتلكت نيويورك فقط مكتبتين: مكتبة آستور التي تأسست عن طريق تبرع بمبلغ ٤٠٠٠٠٠ دولار تركه في وصيته جون يعقوب آستور، تاجر فرو ألماني الأصل، كان من أوائل المليارديرات في أميركا.

المكتبة هذه تم افتتاحها أولاً عام ١٨٤٩، أما المكتبة الثانية فهي مكتبة لينوكس، على اسم مؤسسها جيمس لينوكس، أحد عشاق جمع الكتب، والتي بُنيت عند فيفث أبينو وتحمل اليوم اسم "مجموعة فريك". لكن بعد عام ١٨٨٦، سيختلف الأمر، عندما سيوصي السيد صاموئيل تيلدين، والذي كان محامياً مشهوراً وسياسياً، بمبلغ مليونين وأربعمئة ألف دولاراً، لتوظيفه من أجل بناء مكتبة في مدينة نيويورك. وشكراً لجوون بيغلوف، الذي كان محامياً نيويوركياً ومشرفاً على تنفيذ وصية تيلدين، لأنه هو الذي اقترح بضم المكتبتين المذكورتين اللتين كانتا تعانيان حينه أزمة مالية، مع المبلغ الذي تركه تيلدين، من أجل بناء مكتبة نيويورك العامة، والمؤسستين الخيريتين أستور وليونكس.

بهذا الشكل بدأت فكرة المكتبة أولاً في ٢٣ أيار ١٨٩٥ على أساس أنها مؤسسة خيرية. ليس ذلك وحسب، بل ضمت إليها بعد مرور ست سنوات، أي في عام ١٩٠١، مكتبة نيويورك الحرة المتنقلة. الفكرة نمت مثل كرة الثلج، عندما سيقوم السيد أندريه كارنيجي، رجل صناعي كبير لمعامل نسيج، أسكوتلندي الأصل، اشتهر بكونه فاعل خير (في اليونانية القديمة: فيلانتروب)، تبرع في حياته بما مجموعه ٣٥٠ مليون دولار، حيث تبرع بمبلغ خمسة ملايين ومئتي ألف من الدولارات، لبناء مكتبة موحدة لمدينة نيويورك، على شرط أن تمول المكتبة هذه وتشرف على صيانتها لاحقاً بلدية مدينة نيويورك. الخلاصة: مكتبة نيويورك العامة هي ثمرة عمل مشترك بين إدارة المدينة ومنظمات خيرية، نموذج لما يُطلق عليه في أميركا: "أميركان وي".

أولاً في أيار ١٩٠٢ وبعد وضع خطط معمارية متعددة والكشف عن الأرض، وضع الحجر الأساس لبناء المكتبة في فيفث أفينو في منهاتن بين شارع ٤٠ وشارع ٤٢. في ٢٣ أيار ١٩١١ قص شريط الافتتاح الرئيس الأميركي ويليم هاورد تافت لتفتح بعدها بيوم المكتبة أبوابها للجمهور.

أما تمثال الأسدين المشهورين اللذين تقدما المكتبة، فقد حملا منذ عام ١٩٣٠ وباقتراح من رئيس بلدية المدينة، صفتي: "صبر" و"شجاعة". كانت سنوات التشاؤم (ديبريشن بيرس) وحسب اعتقاد رئيس بلدية المدينة بأن هاتين الصفتين هما بالضبط ما يحتاجه المواطنون لتجاوز التشاؤم الكبير "بيغ ديبريشن" الذي لفّ الولايات المتحدة الأميركية في حينه، عندما انهارت البورصة، وأُغلقت المصانع وسُرح العمال وانهار سعر الدولار.

في عام ٢٠٠٧ كُلف المهندس المعماري المشهور نورمان فورستر بإعادة بناء البناية القديمة وتوسيعها، لكن المشروع الذي قدمه المعماري بدعم من سلطات المدينة أُلغي في عام ٢٠١٤ بعد أن واجه مقاومة كبيرة. الكلفة التقديرية لإعادة البناء كانت ما يعادل مليار دولار، ومن أجل الحصول على ذلك المبلغ، لم يكن كافياً المبلغ الذي ستدفعه المدينة ولا التبرعات التي لا يُعرف كم ستكون، بل كان يجب التخلي عن البناية الرئيسية مع بعض البنايات الأخرى عن طريق بيعها. المشروع تعرض لنقد شديد، في الصحافة ومن قبل الجمهور. أما المثقفون المقيمون في نيويورك فقد وقعوا عريضة ضد خطط البناء الجديدة، من ضمنهم سلمان رشدي وصاحب (النوبل) ماريو بيرغاس يوسا.

وهم على حق. البناية التي تمتد وسط مانهاتن، هي بناية استثنائية في نيويورك، كلها أبهة وفخامة. أنها أكبر مكتبة عامة ليس في الولايات المتحدة الأميركية وحسب، بل في كل أميركا الشمالية، كما أنها ثالث أكبر مكتبة في العالم، بعد مكتبة الكونغرس الأميركي والمكتبة البريطانية. في المجمل تضم المكتبة بكل فروعها نحو ٥٣ مليون عنصر من كتب وأشرطة وخرائط وأفلام. أنها واحة للعلوم والآداب، تُذكر بالكتاب وقيمته، خاصة وأن فيفث أفينو الذي احتلت مساحة كبيرة منه، هو شارع للتبضع. سياح من كل العالم يدخلون إليها يومياً، للتمتع بمنظر بنائها المعماري، صالاتها الداخلية هي جنات أرضية ترتفع عليها رفوف الكتب. كما أنها تمتلك أكبر صالة مطالعة في العالم. ويظل الأجمل فيها، هو مدخلها المزين بالهلال الأخضر (الإسلام) الذي ارتفع عند الزاوية اليسرى في أعلى السقف، ثم الشمعدان (اليهودي)، الذي استقر في الوسط، ثم الشموع (المسيحية) التي ارتفعت عند الزاوية اليمنى من السقف. العلوم والآداب والأديان الثلاثة الكبرى. هذا الخليط لا تجده في أية مدينة أخرى. فقط في نيويورك.

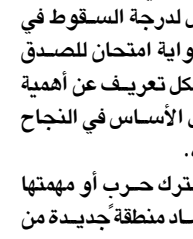

البناية التي تمتد وسط مانهاتن، هي بناية استثنائية في نيويورك، كلها أبهة وفخامة. أنها أكبر مكتبة عامة ليس في الولايات المتحدة الأميركية وحسب، بل في كل أميركا الشمالية..

أديبتان عراقيتان في القائمة الطويلة لجائزة الشيخ زايد للكتاب

اختارت جائزة الشيخ زايد كتابين عراقيين لقائمتها الطويلة التي اعلن عنها امس، فقد اختارت رواية "جانو أنت حكايتي" للكاتبة العراقية ميسلون هادي، وكتاب "في سوق السبايا" للشاعرة دنيا ميخائيل.

هذا وقدأعلن في الإمارات أمس القائمة الطويلة للأعمال المرشحة في فرع الآداب في دورتها الثانية عشرة والتي ضمت ١٣ عملاً سردياً من أصل ٣٣٧ مشاركة جاءت غالبيتها من مصر وسوريا والأردن والمغرب والعراق والسعودية.

ومن السعودية ضمت القائمة روايتي "الشيطان يحب أحياناً" للكاتبة زينب حفني و "البدوي الصغير" للكاتب مقبول العلوي.

ومن مصر ضمت القائمة روايات "خريف البلد الكبير" للإعلامي والروائي محمود الورواري و "يكفي أننا معاً" للروائي عزت القمحاوي و "رحلة الدم" للكاتب إبراهيم عيسى.

ميسلون هادي

دنيا ميخائيل

ومن سورية ضمت القائمة روايتي "اختبار الندم" للكاتب خليل صويلح و "مترو حلب" للكاتبة مها حسن.

كما ضمت القائمة رواية "في أثر غيمة" للكاتب اللبناني حسن داوود، ورواية "عناقيد الرذيلة" للكاتب الموريتاني أحمد ولد الحافظ. وإضافة إلى الروايات ضمت القائمة كتاب "في سوق السبايا" للكاتبة العراقية الأميركية دنيا ميخائيل، وكتاب "الشاهد والمشهود" للأديب الأردني وليد سيف في مجال السيرة والمراجعات الفكرية، والسيرة الروائية "بحثاً عن السعادة" للكاتب التونسي حسونة المصباحي.

وجائزة الشيخ زايد للكتاب جائزة مستقلة تمنح كل سنة لصناع الثقافة والمفكرين والمبدعين والناشرين عن مساهماتهم في مجالات التنمية والتأليف والترجمة والعلوم الإنسانية. وتشمل ثمانية فروع إضافة إلى جائزة "شخصية العام الثقافية"، وتبلغ القيمة الإجمالية للجوائز سبعة ملايين درهم إماراتي (نحو ١,٩ مليون دولار).

وينتظر إعلان القوائم الطويلة لبقية الفروع خلال الأسابيع القليلة المقبلة.

وجهة نظر

الرواية وسوداوية الرأي

علي لفتة سعيد

يؤكد الروائي العربي واسيني الأعرج في مقال له على اعتقاده أن (الرواية هي امتحان لدرجة صدقنا تجاه الحياة. إما أن نكون نحن حتى داخل السواد، أو لا نكون، لا لأننا نحب السواد، بل لأننا لا نستطيع أن نقول روائياً غير ذلك.) ورغم أن القول كما يبدو منحازا للرواية علي إنها صناعة حياة، وقوله كان إجابة على ما قيل عن روايته الأخيرة (حكاية العربي الأخير) إلّا ما قاله يمكن أن يأخذ أبعاداً أخرى من التأويل والقصد وما يمكن أن يضيف الى الكثير من الجدل حول مفهوم الرواية في العالم العربي على الأقل، فما يمكن يقال على القول، إن الرواية لا تعني فقط إبراز الجانب السلبي من الحياة، ولا تعني الوقوع في الكذب والغرق فيه كما كان في إجابته، لأن الرواية بصفتها فعلاً فردانيا يعتمد على الواقع أو إنها فعلٌ واقعيٌّ يعتمد على المخيلة، أو إنها صياغةٌ مخيلاتية تعتمد على رؤية المنتج، فأنها بالتأكيد لا تحتمل فقط الجانب السوداوي من الحياة، ولا تعني كما يقول البعض من النقاد إنها تتناول المهمشين في القاع الاجتماعي.. نعم هي تأخذ كلّ ما له علاقة بالفكرة لأن المخيلة تنتج فكرةً والفكرة تنتج حكايةً والحكاية هي مهد العملية السردية التي تنقل الحكاية من وصفها حدّوته الى صفتها الروائية عبر منظومة السرد بمعنى أن كل حكاية يمكن لها أن تكون سردا ولكن ليس كل سرد قادر على احتواء حكاية والعكس صحيح بمعنى أن كل سرد يحتوي على حكاية.. وهو أمر يقع على عاتق السارد نفسه في كيفية قيادة العمل الروائي في نقل المتن الحكائي الى متن سردي، وهو رأي قد يكون منطبقاً على أغلب الأجناس الأدبية، لكنه في الرواية يتيح لك الأمر الأخذ بيد الفكرة وقيادتها الى برّ الأمان التدويني. بمعنى إنه يمكن من خلال الحالة البيضاوية إن صحّ القول المعاكس للحالة السوداوية، أن يكون حاضراً إذا ما كانت الحكاية قد أستلت – من لحظة جمال يعيشها المواطن والمنتج – جزءٌ من هذه الحياة..

هنا الأمر لا يعني مناقشة روايته الأخيرة بل قوله أن يكون المؤلّف داخل السواد وإنه لا يمكن أن يكون روائياً إلّا إذا كان داخله، هو أمر لا يتيح حرية الفكرة، والفكر للمنتج الروائي صاحب المخيلة الخصبة إلّا البحث عن أفكار وحكايات سوداوية فقط، وهو أمرٌ ذكّرني بأحد النقّاد الكبار ذات أمسية، حين قال إن الروائي الناجح هو الذي يهتّم بالمسحوقين ويتناول المهمّشين في أعماله. وكانت لي مداخلةٌ في حينها من أن الحكاية فكرةٌ تصاغ لتكون روايةً، وإن في داخل كلّ واحد منّا حكّاءٌ كبيرٌ في بعض الأحيان ولكن الإبداع هو كيف تتحوّل هذه الحكاية الى فنٍّ روائيٍّ سردي.. أن يجعل الأدب على إنه رسول السوداوية وناطق رسمي باسم المهمشين يبعد التعريف الكلّي للإبداع، من أنه منتجٌ للجمال ومساهمٌ في صنع الحياة، والحياة فيها كل المتناقضات، وإن كان المنتج المبدع صاحب مخيلة أرضها خصبة قد جعل من مخيّلته تصل في اتجاه واحد فقط أصبح مناطاً بالبحث عن أفكارٍ سوداوية وهو أمرٌ تغلّب عليه صفة العاطفة والبحث عن متلق هامشي فقط، لأن الكتابة من هذا النوع لمجرّد إنها تناقش سوداوية الواقع، حتى لا يكون المؤلّف كاذباً، بمعنى إنه منتج عاطفة فقط، في حين إن الكتابة إنتاجٌ فكريٌّ يصل الى حدّ المعرفة الفلسفية والولوج الى عوالم لا يراها المتلقّي من خلال عوامل عديدة تبدأ باختيار المنطقة التي تتيح له إلتقاط الفكرة، ومن ثم الولوج الى عالم التدوين ليكون قادراً على إنتاج نصٍّ روائيٍّ لا يحمل عاطفته السوداوية، بقدر ما يحمل دهشته وأسئلته الباحثة عن متلق يكون مشاركاً في صنع التأويل واستلهام القَصد. بل إن على المنتج الروائي صناعة تفاؤل جديد، إذا ما افترضنا إن نصه يحمل سوداويته لأنَّه معني بصناعة هذا الأمل.. فالكتابة عن الحرب والقتل والدمار والسلطة والدكتاتورية واختراق التابوهات لا يعني نقل الصورة مثل المرآة، لزيادة جرعة السواد في القلوب وزيادة مساحة اليأس لدى المتلقّين بل لتبيان المعاني والمساعدة على حصاد الفهم وطرح أسئلة الوعي والسباحة في بحر الفلسفة، والإتيان بحالة نفسية جديدة تجعل من هذا الواقع الذي مرّ بسواده إنه يمكن الاستفادة منه لصناعة بياض لواقع جديد.. وليس كما تساءل الروائي الاعرج في ذات المقال (هل وظيفة الكاتب أن يتفاءل لدرجة السقوط في الكذب.) بل إن قوله الرواية امتحان للصدق الابداعي هي الأقرب لكل تعريف عن أهمية الرواية كونها العامل الأساس في النجاح الأدبي وأهميته ومعناه.

إن الرواية ليست معترك حرب أو مهمتها صناعة حرب بل إيجاد منطقة جديدة من الوعي الذي تمنحه قدرة الروائي على سرد الواقع وحكاياته، ومنح المخيلة القرائية قدرة على تفهّم الحياة بإيجابية جديدة، لا تتمسّك بالسواد ولا تعبره دون انتباه.